

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

✚ الاسم الكامل : ادريس الكاميري

✚ استاذ بوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب

✚ باحث في الدراسات الاسلامية تخصص الفقه المالكي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس

✚ البريد الالكتروني : elgamiri.driss2014@gmail.com

✚ الهاتف المحمول : 212657442898

### ❖ مقدمة

لقد دعا الخطاب القرآني الناس جميعاً إلى التدبر والتفكير والتبصر والاعتبار، ونهى الناس كافة عن التقليد والتبليد وموت الحس والقلب والضمير ولقد اقتضت حكمة الخالق تعالى أن يرشد الإنسان إلى الاصل الذي يستقي منه معارفه وينهل منه حقائق هذا الوجود بل إن وجوده وبقائه ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإقباله على كتاب الله عز وجل، لا بتلاوته وحفظه فحسب، بل بتدبره بالمعنى الواسع للتدبر فالتدبر هو الطاقة الدافعة إلى الفهم والمعرفة والاستنباط، وهو القوة الجالبة للتمثل والتخلق والتطبيق. فالقرآن محراب المتدبرين والمستنبطين وعلماء الاجتهاد، والكون محراب الدارسين والعايدين وعلماء التجارب والماديات؛ وكل في فلك يسبحون تدبراً واستنباطاً وانتفاعاً بمواعظ القرآن ولا ريب أن الفهم والتدبر والاستنباط من أعظم القربات، وأكمل الأعمال، وأوجب الواجبات، وأجل الطاعات؛ لأنه يقود العاقل إلى التأثر والتروي والاعتبار والعمل بموجبات العلم ووصايا الدين ورصيد التجارب،

فإذا كان القرآن هو مفتاح القلوب والعقول؛ فإن التدبر هو مفتاح القرآن والسبب الرئيس في معرفة كنوزه وفضائله وثمراته كما أنه هو القائد إلى تمثل الفوائد والحكم القرآنية حتى تكون خُلُقاً في حياة الفرد والأسرة والمجتمع. وفي هذه الدراسة يتم استعراض رؤية واستراتيجية ووجهة نظر متواضعة لما يمكن من الاستثمار الأمثل والأحسن لهذا الكنز الموجود في أحضان هذه الأمة المحمدية، والتي لم تعرف قدره، ولذلك كانت حائرة في زمن محير. لقد بدأ المجتمع المسلم يتلمس المشكلة عندما فقد هذا المجتمع الريادة، إذ تولدت غرابة من هذا الواقع الذي ارتسم في صورة هذا المجتمع، وبسبب ذلك تآتى التركيز على دراسة الأبعاد القرآنية لاستقراء سبب هذه النكسة من خلال المفاهيم القرآنية الراقية. ووضع استراتيجية عملية لتحصيل الانتفاع بالنصوص القرآنية في واقع ومستقبل الفرد والأمة، والإنسان والإنسانية، وهذا هو ما أحاول أن أحصّله في هذه الدراسة، والتي بدأتها بوضع هذه الاستراتيجية المتمثلة في بناء الدور القرآني في بناء الشخصية المسلمة ، وذلك من خلال فهم حقيقة القرآن الذي هو مصدر ووسيلة للإصلاح، ومن خلال إدراك استراتيجية الإصلاح ومقوماتها كما طرحتها الرؤية القرآنية، وما يتصل بالمحل والقالب الذي ستصب فيها هذه العملية الإصلاحية، والمتمثل بالإنسانية والإنسان.

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

ومن خلال استهداف طرح هذه الاستراتيجية التي ابتغي من وراءها بناء وتأصيل دور عملي لاستثمار نصوص هذا القرآن انطلق في ذلك من أجل استهداف بناء الأثر الملموس للقرآن في حياة الإنسان، وذلك من خلال شرح مستفيض ومسهب للآلية التي أرى من خلالها تحقيق تأثير أكبر للنص القرآني في حياة الفرد، وفي حياة الأسرة بفضل ربها، وفي حياة الأمة بفضل قائدها. وذلك ومن دون شك لن يتأتى إلا باكمال الصورة التي تنطلق من فهم حقيقة القرآن، واستيعاب الاستراتيجية الإصلاحية لرؤيته ونصوصه، وإدراك حقيقة المحل والقالب الذي تصب فيه في نهاية المقام، والمتمثل فيمن اختصه الله بالخطاب القرآني وهو الإنسان.

وقد جاء هذا البحث للكشف عن أبرز قواعد وأسس بناء الشخصية المسلمة من خلال التدبر، وسبل الاستفادة منها في الارتقاء بالفرد المسلم وتحلية لذلك نحوت في هذا البحث الخطة الآتية :

### ❖ مقدمة

#### ❖ المحور الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وأهميته

- أولاً: مفهوم التدبر وحقيقته
- ثانياً: معاني التدبر في القرآن الكريم
- ثالثاً: أهمية التدبر
- رابعاً: كيف نتدبر القرآن العظيم
- خامساً: من ثمرات تدبر القرآن

#### ❖ المحور الثالث: تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة

- أولاً: تدبر القرآن الكريم وأثره في استقامة المسلم:
- ثانياً: تدبر القرآن الكريم وأثره على قلب ومشاعر المسلم :

#### ❖ المحور الرابع: الأثر الروحي والنفسي للتدبر في بناء الشخصية المسلمة

- أولاً: الأثر الروحي لتدبر القرآن الكريم
- ثانياً: الأثر النفسي لتدبر القرآن الكريم
- ثالثاً: مظاهر تأثير القرآن الكريم في نفوس المتدبرين من أوليائه
- رابعاً: التحذير من هجر تدبر القرآن الكريم

### ❖ خاتمة

#### ❖ المحور الأول: مفهوم تدبر القرآن الكريم وأهميته

- أولاً: مفهوم التدبر وحقيقته

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

إن تدبُّر القرآن هو أرفع صور تلاوته وترتيبه، التي جاءت نصوص القرآن والسنة ببيان فضلها وثوابها، والتدبر هو الذي يساعد قارئ القرآن على النهيم من خيراته وفضائله.

فالتدبر لغة: دبر الأمر وتدبَّره: نظر في عاقبته، واستدبره: رأى في عاقبته ما لم يرَ في صدره، وعرف الأمر تدبُّراً؛ أي: بأخْرَةٍ... والتدبير في الأمر: أن تنظر إلى ما تؤول إليه عاقبته، والتدبر: التفكير فيه... ويقال: إن فلاناً لو استقبل من أمره ما استدبره، لهدي لوجهة أمره؛ أي: لو علم في بدء أمره ما علمه في آخره، لاسترشد لأمره... والتدبير أن يتدبر الرجل أمره ويدبره؛ أي: ينظر في عواقبه<sup>(1)</sup>.

التدبر: النظر في دبر الأمور؛ أي: عواقبها، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرف بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب<sup>(2)</sup>.

وقال الجرجاني في تعريف التدبر: "عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكير، إلا أن التفكير تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب"<sup>(3)</sup>

إذاً؛ فالتدبر: التفكير، ومادته تدور حول أواخر الأمور وعواقبها، "فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه، ومن هنا نستطيع أن نفهم التدبر، هو التفكير الشامل، الواصل إلى أواخر دلالات الكلم، ومراميه البعيدة." قال الزجاج: "التدبر: النظر في عاقبة الشيء"<sup>(4)</sup>

فاعتماداً على هذا التعريف، يكون التدبر هو: "التفكير باستخدام وسائل التفكير، والتساؤل المنطقي؛ للوصول إلى معانٍ جديدةٍ يحتملها النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها، وربط السور القرآنية ببعضها، وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذلك."

وقد ورد لفظ التدبر على صيغة التَّفَعُّل للدلالة على التكلف والتعقب والنظر مرة بعد مرة وكرة بعد كرة لحصول الأثر الناجم عن المجاهدة التي يجعلها المتدبر عنواناً لجهد ونصبه واجتهاده في تحقيق المراد.

ويأتي بمعنى "تحديق ناظر القلب إلى معاني القرآن، وجمع الفكر على تأمُّله وتعمُّله، وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر"<sup>(5)</sup>

وقال ابن القيم في موضع آخر في توضيح المراد من التدبر: "وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعُّل كالتجرع والتفهم والتبين" كما قال أيضاً: "إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع

(1) - مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط/ ص 86

(2) - مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، ص 65

(3) التعريفات: 54

(4) انظر: زاد المسير: 305

(5) مدارج السالكين، ج: 1، 475.

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكامييري

قلبك عند تلاوته وسماعه، واللق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه إليه؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله".<sup>(6)</sup>

وعلى ذلك، فحقيقة تدبر القرآن: أن يقرأ المسلم كتاب الله بتأمل وتفكير، وعناية وحضور، فيتأمل في أخباره ومواعظه، وأوامره ونواهيه، وأحكامه وآياته، وأن يعزم النية على العمل بما يؤمر، وعلى الانتهاء عما نُهي عنه، وأن يتعظ بما فيه من المواعظ والأخبار، ويستحضر ما أخبر الله به عباده من أمور المعاد؛ فالخشوع والتدبر هما المقصودان، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تأمل، وبالخشوع والتدبر تنشرح الصدور، وتستنير القلوب؛ ولذلك أخبر الله جل وعلا أن التذكر والتعقل هو ثمرة التدبر؛ فقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(7)</sup> قال الطبري في تفسيرها: يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وهذا القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ يقول: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به.

فعلينا ألا ننسى حفظنا من القرآن؛ فإنه أساس الثبات إذا عصفت الفتن، وعلاج الأحزان إذا نزلت المحن، وشفاء إذا نالت منك الأسقام والعلل، وحظك إنما يكون منه أنفع وأوفر إذا فتحت لآيات الله قلبك وتدبرتها وتأملتها؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾<sup>(8)</sup>

### ○ ثانياً: معاني التدبر في القرآن الكريم

ورد استعمال الأصل) دَبَّرَ (في القرآن الكريم بصيغ شتى، في أي عدة؛ بلغت أربعاً وأربعين<sup>(9)</sup>؛ لا تخرج عن المعاني السبعة التالية، وقد مثلت لكل معنى بالآية أو الآيتين؛ ليقاس على المثال ما لم أذكر من سائر الآيات. الأول: الظَّهْرُ، وقد ورد بصيغة المفرد في خمس آيات<sup>(10)</sup>؛ منها قوله تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ)<sup>(11)</sup>.

وقوله تعالى عن التولي عند القتال: (وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ)<sup>(12)</sup>

وورد بصيغة الجمع في اثني عشرة آية<sup>(13)</sup>؛ منها قوله تعالى: (وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُولُوْكُمْ الْاُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ)<sup>(14)</sup>

<sup>(6)</sup> (الفوائد لابن القيم، ص: 95)

<sup>(7)</sup> سورة ص الآية 29

<sup>(8)</sup> سورة التوبة الآية 124

<sup>(9)</sup> المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص 252.

<sup>(10)</sup> في سورة يوسف (25، 27، 28)، وفي سورة القمر (45)، وفي سورة الأنفال (16)، والتوبة (25).

<sup>(11)</sup> سورة يوسف الآية 25

<sup>(12)</sup> سورة الانفال الآية 16

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

وقوله تعالى ( إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ )<sup>(15)</sup>

الثاني : الرجوع (، وقد ورد في سبع آيات؛ منها قوله تعالى عن موسى عليه السلام : (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهُمَا جَانٌّ وَلِي مُدَبِّرًا وَمَنْ يُعَقِّبُ )، وقوله تعالى : وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ<sup>(16)</sup>

الثالث : التولي والعدول، وقد ورد في خمس آيات منها قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ نَزَاعَةَ لِلشَّوَىٰ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى<sup>(17)</sup>

الرابع : الأصل والأثر (، وقد ورد في أربع آيات منها قوله تعالى : (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ<sup>(18)</sup> .

الخامس : آخر الأمر (، وقد ورد في موطن واحد هو قوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَذْبَارَ السُّجُودِ<sup>(19)</sup> [

السادس : التدبير (، وقد ورد في أربعة مواطن منها قوله تعالى : (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ<sup>(20)</sup>

السابع : التدبر (، وقد ورد في أربع آيات هي قوله تعالى : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا<sup>(21)</sup> وقوله تعالى : (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأُولِينَ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ<sup>(22)</sup> وقوله تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ<sup>(23)</sup> ، وقوله تعالى : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا<sup>(24)</sup> )

<sup>(13)</sup> في سورة آل عمران (111)، والنساء (47)، والمائدة (21)، والأنفال (15، 50)، والحجر (65)، والإسراء

(46) والأحزاب (15)، ومحمد صلى الله عليه وسلم (25، 27)، والفتح (22)، والحشر (12)

<sup>(14)</sup> سورة ال عمران الآية 11

<sup>(15)</sup> سورة محمد الآية 25

<sup>(16)</sup> المدثر: 33، وهو أيضا في سورة القصص (31)، والأنبياء (57)، والصافات (90)، وغافر (33)، والطور (49)

<sup>(17)</sup> المعارج: 17، وباقي مواطنه:

المدثر (23)، والنازعات (22)، والنمل (80)، والروم (52)

<sup>(18)</sup> الأنفال: 7، وباقي مواطنه: الأنعام (45)، والأعراف (72)، والحجر (66)

<sup>(19)</sup> سورة ق الآية 40

<sup>(20)</sup> الرعد: 2، وباقي مواطنه: يونس (3، 31)، والسجدة (5).

<sup>(21)</sup> سورة النساء الآية 82

<sup>(22)</sup> سورة المؤمنون الآية 68

<sup>(23)</sup> سورة ص الآية 29

<sup>(24)</sup> سورة محمد الآية 24

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

وهذه المعاني هي التي ذكرها الفقيه الدامغاني في كتابه<sup>(25)</sup>؛ ما عدا السادس، وجعل مكان التولي والعدول: الدين الباطل، ومكان الرجوع: الذهاب، ومكان الأصل والأثر: الغابر، ومكان التدبر: التفكير.

أما الدين الباطل، فمثل له بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ)<sup>(26)</sup>، قال: (يعني دين آبائهم، وهم اليهود، كقوله تعالى في سورة الإسراء: (وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رِبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخَدَّهُ وَلَوْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا)<sup>(27)</sup> يعني رجعوا إلى أصنامهم وعكفوا على عبادتها<sup>(28)</sup>).

وهذا المعنى أخص من التولي والعدول؛ لأن الرجوع إلى الأصنام والعكوف على عبادتها مجرد نوع من أنواعه؛ فلا يشمل مثل قوله تعالى عن فرعون: (ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَوَحَّشَ فِتْنَاهُ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ)<sup>(29)</sup>، قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "أي تولى وأعرض عن الإيمان (يسعى) أي يعمل بالفساد في الأرض، ويجتهد في معارضة ما جاء به موسى<sup>(30)</sup>."

وأما معنى الذهاب، فليس كمعنى الرجوع؛ وإن كان سياق الآيات التي ورد فيها يدفع ما بينهما من التباين في اللغة؛ إذ كل رجوع ذهاب، وليس كل ذهاب رجوعًا.

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في بيان معنى قوله تعالى: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ -: "أي بعد أن ترجعوا من عبادتها ذاهبين منطلقين"<sup>(31)</sup>، فجمع بين الذهاب والرجوع في نسق، ويدل على لزوم التخصيص قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَمَنْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ] فإن قوله (أقبل) لا يقال إلا للذاهب راجعا، وأيضا؛ فإن الذهاب: "السير والمرور، أما الرجوع فهو: "المصير إلى الموضع الذي كان فيه قبل، والانصراف"<sup>(32)</sup>،

ويجوز أيضا استثناء معنى الهزيمة من عموم معنى الظهر الأول؛ لأنه مجرد صورة له لا تمنع دخول غيره فيه، فالفرق صريح بين قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ] .، وقوله تعالى: (وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ] ، ووجهه أن معنى الظهر في الآية الأولى متعلق بنفس الضارب دبره؛ لا يتعداه، ومعناه في الآية الثانية متعلق بأثر خارجي؛ ألجأ العدو إلى تولية دبره لمن دحره انهزاما وانفلالا.

<sup>(25)</sup> قاموس القرآن: ص 171.

<sup>(26)</sup> سورة محمد الآية 25

<sup>(27)</sup> سورة الاسراء الآية 46

<sup>(28)</sup> قاموس القرآن: ص 171.

<sup>(29)</sup> سورة النازعات الآية 22

<sup>(30)</sup> فتح القدير 5 / 535.

<sup>(31)</sup> فتح القدير 3 / 582.

<sup>(32)</sup> الفروق في اللغة: ص 300، والقاموس المحيط: رجع.

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

ويؤيده قول الشوكاني رحمه الله - في قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَتُزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَمَمْ يُعَقَّبُ " - {أي منهزمًا، وانتصاب مديراً على الحال. (33) "

### ○ ثالثاً: أهمية التدبر

وتكمن أهمية تدبر القرآن الكريم فيما يلي:

1 - الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى: فلقد أمرنا بذلك؛ فقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (34) ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (35) قال البيضاوي في تفسيرها: يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر؛ حتى لا يجسروا على المعاصي، ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ لا يصل إليها ذكر، ولا ينكشف لها أمر، وقيل: (أم) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التقرير، وتنكير القلوب لأن المراد قلوب بعض منهم، أو للإشعار بأنها لإبهام أمرها في القساوة، أو لفرط جهالتها ونكرها، كأنها مبهمه منكورة، وإضافة الأقفال إليها؛ للدلالة على أقفال مناسبة لها، مختصة بها، لا تجانس الأقفال المعهودة (36).

2 - كذلك أهمية التدبر في أنه سبب لشحن النفوس نحو الخير، والبعد عن الشر، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر الآية الواحدة مرات ومرات، ويقبلها ويتفكر فيها؛ إذ ليس هناك فائدة في أن يكرر الإنسان آية عشرات المرات إذا لم يكن فيها تقليب الآية والتفكر فيها، وكثير من الصحابة والصالحين كانوا يكررون كثيراً من الآيات يتفكرون، وينظرون، ويعتبرون.

3 - والتدبر يعني الاهتمام، ثم التطبيق والممارسة، وهي النقطة الأهم في حياة الأمة، فإذا تدبرنا القرآن، نقلناه إلى حقول الممارسة، وميادين السلوك.

4 - ومن أهمية التدبر أنه سبب في تغيير حياة كثير من الناس، فقيمة القرآن الحقيقية في قدرته على التغيير، وهذا بلا شك يستدعي فهم معانيه، والتأثر بها، والعمل بمقتضاها، وفي مقدمة من غير القرآن حياتهم صحابة رسول الله، الذين كانوا يسمعون القرآن فيقولون: والله إنه ليس بقول البشر، وما هي إلا لحظات تفكر وتدبر قليلة، حتى يدخل ذلك الرجل في الإسلام دون تردد، وحينما كانوا يقرؤونه للتلاوة أو في صلاتهم، كانوا يقفون عند آياته وقوفاً طويلاً؛ لطلب الهداية علماً وعملاً، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يغركم من قرأ القرآن، إنما هو كلام نتكلم به؛ ولكن انظروا من يعمل به (37)

(33) فتح القدير 4 / 239.

(34) سورة النساء الآية 82

(35) سورة محمد الآية 24

(36) تفسير البيضاوي " 5 / 194، 195.

(37) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، ص 71،

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

وإن أردت مثلاً لطريقة الصحابة في قراءة القرآن، فإليك هذا الأثر: عن أبي ذئب - رحمه الله - عن صالح قال: كنت جازراً لابن عباس - رضي الله عنهما - وكان يتهجّد من الليل فيقرأ الآية، ثم يسكت قدر ما حدثك، وذاك طويل، ثم يقرأ، قلت: لأي شيء فعل ذلك؟ قال: من أجل التأويل، يفكر فيه<sup>(38)</sup> ويقول عباد بن حمزة: دخلت على أسماء - رضي الله عنها - وهي تقرأ: ﴿فَمَنْ لَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾<sup>(39)</sup>، فوقفْتُ عندها تعيدها وتدعو، فطال عليّ ذلك، فذهبتُ إلى السوق فقضيت حاجتي، وهي تعيدها وتدعو<sup>(40)</sup>.

### ○ رابعاً: كيف نتدبر القرآن العظيم

روى الإمام مسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله ليرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين<sup>(41)</sup>). ما من شك في أن رفعة السلف الصالح كانت مصداقاً للشق الأول من هذا الحديث، وبسبب التصاقهم بالقرآن الكريم فهماً وتطبيقاً وحسن تدبر؛ رفعهم الله سبحانه.

وما من شك في أن سبب المذلة التي نعانيها اليوم هو مصداق للشق الثاني من الحديث، حيث ابتعدنا عن القرآن الكريم فهماً وتطبيقاً وتدبراً، فتداعت علينا الأمم، أو قاربنا أن نصل إلى هذه الحال. لذا كان لزاماً علينا - إن كنا نريد لأمتنا أن تستعيد مجدها وشهودها الحضاري - أن نعيد تنظيم علاقتنا مع القرآن الكريم، وفق المنهج الذي ارتضاه الله لنا، وهذا المنهج يكمن في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَاهَا﴾<sup>(42)</sup>

ويكمن أيضاً في علاقة الرسول الكريم مع القرآن، فقد كان - عليه السلام - قرآناً يمشي على الأرض، والصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا لا يتعلمون الآية، حتى ينتهوا من الآية التي سبقتها فهماً وتدبراً، فانعكس ذلك على سلوكهم وحياتهم؛ فلذلك رفعهم الله به.

وسار التابعون على ذلك، فارتقوا وارتفعوا، وجعلهم الله سادة للأمم، بعد أن كانوا رعاة للغنم، ثم خلف من بعدهم خلف، وجاءت أقوام جعلت العلاقة بينها وبين القرآن على غير الذي كانت عليه، وما زالت الهوة تتباعد، حتى وصل المسلمون إلى ما هم عليه الآن، وتنحّت فكرة التدبر للقرآن جانباً عند أكثر الناس لأسباب مختلفة، وتنحى بعدها الاهتمام بالدين شيئاً فشيئاً.

<sup>(38)</sup> مختصر قيام الليل، لمحمد بن نصر المروزي، ص 149،

<sup>(39)</sup> سورة الطور الآية 27

<sup>(40)</sup> "مختصر قيام الليل" ص 149.

<sup>(41)</sup> أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، برقم 1894، وأحمد في مسنده،

كتاب مسند عمر بن الخطاب، باب مسند عمر بن الخطاب، برقم 234.

<sup>(42)</sup> سورة محمد الآية 24



## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

وحتى نعيد علاقتنا مع القرآن الكريم؛ فلا بد من التدبر والمسلم اليوم لا ينقصه شيء مثل ما ينقصه الاهتمام بدينه وقرآنه. والسؤال ما الطريق التي توصلنا إلى التدبر؟

إن هناك بعض الأمور التي إن حققناها، تدبرنا القرآن تدبراً حقيقياً، ومنها:

**الاهتمام بلغة القرآن:** فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ (43).

فتلك أول خطوة في طريق تصحيح علاقتنا مع القرآن الكريم، فمن يريد أن يتعامل مع القرآن، فلا بد أن يتفهم لغته، ويعتني بممارستها، ويتعرف على أساليبها، ويتذوق معانيها، ويدرك مراميها.

**الاهتمام بالصحيح من تفسير القرآن الكريم:** ذلك أن النبي عليه السلام هو الناقل عن الله، وهو المبين للقرآن الاهتمام بالتلاوة الصحيحة، والفهم الصحيح، والتطبيق السليم.

### ○ خامسا : من ثمرات تدبر القرآن

إن لتدبر القرآن شأنًا عظيمًا، فهو مادة حياة القلب، وانسراح الصدر، وتجدد الإيمان؛ قال تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (44)

### صلاح القلب:

فتدبر القرآن شفاء من الشبهات والشهوات، وهو من أعظم وسائل الثبات، فبه تطمئن القلوب وتسكن، وبه تقرر الأعين، وقد جمع ابن القيم رحمه الله ثمرات تدبر القرآن الياقة، فقال: "فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العالمين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكمالها، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه.

فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر، لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير حتى إذا مرَّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، كررها ولو مائة مرة، ولو ليلة، فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن، فقراءة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب (45).

### صلاح العمل:

(43) سورة طه: 113

(44) الإسراء: 9

(45) "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة"، ص221.

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

فإن الجوارح للقلب تبع، فإذا خشع القلب للحق، وشفي من الأمراض والأسقام بتدبر القرآن، انسأقت لأوامره الجوارح، وظهر ذلك صلاحاً في العمل؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)<sup>(46)</sup>.

ويقول ابن القيم رحمه الله: ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته - من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها... تثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانه، وتُثَقِّد أركانه، وتُربِّيه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله... وتعطيه فرقاناً ونوراً يفرق به بين الهدى والضلال، والغنى والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعادة وانسراحاً وبهجة وسروراً، فيصير في شأن، والناس في شأن آخر.

كما يقول رحمه الله أيضاً: فإذا حصل المؤثر، وهو القرآن، والمحل القابل، وهو القلب الحي، ووُجد الشرط، وهو الإصغاء، وانتفى المانع، وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر - حصل الأثر، وهو الانتفاع والتذكر<sup>(47)</sup>.

### ❖ المحور الثالث: تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة

من الآثار التي تعود على الفرد المسلم المتدبر للقرآن الكريم كثيرة جداً، ولكننا سنحاول أن ندقق النظر في آيات القرآن الكريم، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا الكتاب الحكيم، وفي بعض المصنفات والمراجع التي لها صلة مباشرة بالكتاب والسنة وبهذا الموضوع ومن هذه الآثار:

#### ○ أولاً: تدبر القرآن الكريم وأثره في استقامة المسلم:

أول وأهم آثار لتدبر القرآن الكريم: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص له من الشرك. فلا يُعبد إلا الله تعالى وحده لا شريك له، ولا يُرجى سواه، ولا يُخاف إلا منه، فلا نافع إلا هو عز وجل ولا ضار إلا هو وحده، فلا يتعلق بولي - كائناً من كان - ليحلب نفعاً، أو يدفع ضرراً فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وحده. كذلك من الآثار الإحسان بمراقبة الله تعالى وحده، فمرتبة المراقبة تدفع صاحبها إلى عمل كل خير، والابتعاد عن كل شر؛ أملاً في وعد الله تعالى وخوفاً منه ومن وعيده - عز وجل، سبحانه وبجمله.

إذاً؛ فأهم الآثار وأولها: الإيمان بالله والتصديق بوعده ووعيده، والعمل بهذا الكتاب والدعوة إليه، والصبر على الأذى في ذلك، ولا شك أن أثر ذلك هو سعادة الدنيا والآخرة؛ لأن المشتغل بالقرآن الكريم هو من اتقى الله تعالى ولا

(46) [ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم 52، وصحيح مسلم كتاب المساقاة، باب

أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم 4070.

(47) "الفوائد" ص123، لابن القيم الجوزية،

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

يسعد في الدنيا والآخرة إلا من اتقى الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (48)  
وفي نفس السورة يقول أيضًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يسرًا﴾ (49) وقال أيضًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (50)

فالقُرآن له أثر عظيم في استقامة العبد المشتغل به؛ ذلك لأنه يعيش به دومًا، يقوم وينام وهو يتفكر فيه وفي أوامره ونواهيه، فهو يستولي على مشاعره وأحاسيسه، فيغير مجرياتها، ويحول طريقها إلى الأفضل، كما أنه يعظه ويذكره، ويكشف له حقيقة نفسه وأصلها، فيشعرها بما عندها من أمراض، ويقدم لها ما يشفيها من تلك الأمراض، كما أن القرآن ينير لصاحبه طريق الوصول إلى ربه، فيهديه ويجعله يخشاه بالغيب، يرغبه في ثوابه وجنته، ويحذره من عقابه وناره.

### ○ ثانيًا: تدبر القرآن الكريم وأثره على قلب ومشاعر المسلم :

القرآن إذا أخلص له صاحبه لا بُدَّ أنه سيحدث تحولاً في قلبه، وشاهد ذلك أنه بعد بيعة العقبة أرسل صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير إلى يثرب، ومعه ما معه من القرآن، فماذا حدث؟

دخل النور قلوب أهل يثرب، فامتألت بالإيمان، وتغيّرت التصورات والاهتمامات وتوحد الفرقاء، واجتمعوا جميعاً على كلمة واحدة، وتمسكوا بحبل الله المتين - وهو القرآن - فكان منهم ما كان من المستوى العجيب في البذل والتضحية والإيثار، كل ذلك حدث قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم إليهم، والدليل على ذلك ما فعلوه مع إخوانهم المهاجرين من تكافل وإيثار في الدور والأموال والثمار، مع فقرهم وشدة حاجتهم، وما كان هذا ليحدث لولا المستوى الإيماني الراقى الذي وصلوا إليه من خلال القرآن.

فقيمة القرآن الحقيقية في قدرته على التغيير، وهذا بلا شك يستدعي تدبره وفهم معانيه، والتأثر بها، والعمل بمقتضاها، فالقرآن هو روح القلوب التي نحيها به سلامتها وزكاتها منه.

فمن تدبر القرآن الكريم، فقد نُفخت فيه روح الهداية والتوفيق لكل خير، وقد استنار بالنور الذي يبدد ظلام الجهل، ويهدي صاحبه إلى سواء الصراط.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (51)

(48) سورة الطلاق: 2 - 3

(49) الطلاق: 4

(50) سورة الطلاق: 5.

(51) الشورى: 52

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

قال الطبري: وكما كُنَّا نوحى في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك - يا محمد - هذا القرآن روحًا من أمرنا، يقول: وحيًا ورحمةً من أمرنا، واختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى الرُّوحِ في هذا الموضع، فقالَ بعضهم: عني به الرحمة، وقال آخرون: معناه وحيًا من أمرنا، وقوله: ﴿ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾<sup>(52)</sup>، يقول جَلَّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما كنت تدري - يا محمد - أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيتكماهما؛ ﴿ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا ﴾، يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن وهو الكتاب نورًا؛ يعني: ضياء للناس يستضيئون بضوئه، وهو بيانه الذي بيّن فيه مما لهم فيه: في العمل به الرّشاد، ومن النار النجاة، نُهدي به من نشاء من عبادنا، يقول: نُهدي بهذا القرآن، فالهاء في قوله: ﴿ بِهِ ﴾ من ذكر الكتاب، ويعني بقوله: ﴿ نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ ﴾ نُسَدِّدُ إِلَى سَبِيلِ الصَّوَابِ وذلك الإيمان بالله من نشاء من عبادنا، يقول: نُهدي به مَنْ نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا<sup>(53)</sup>. فكما أنّ الروحَ إذا دخلتِ الأبدانَ حرّكتها وأحيتها، كذلك القرآن إذا دخل القلوب، فإنّه يُحييها ويحركها لخشية الله ومحبته، أمّا إذا خلت القلوب من القرآن، فإنّها تموت، كما أنّ الجسمَ إذا خَلَا من الروح، فإنه يموت<sup>(54)</sup>. والقرآن يُشعرنا بضآلة ما نقدمه من أعمال، ويظهر ذلك من خلال عرضه الدائم لعباد الكون وما فيه من مخلوقات لله عزَّ وجلَّ كقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾<sup>(55)</sup>، وقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾<sup>(56)</sup>.

والقرآن يكشف للإنسان حقيقة أصله الحقير، ومدى ضَعْفه وَعَجْزه، وجهله وحجم احتياجاته المطلوبة للاستمرار في الحياة، وأنه بالله لا بنفسه، ولو تخلّى عنه طرفة عين، لهلك. ومع بيان هذه الحقيقة فإنه كذلك يعرفه بطبيعة نفسه المحبة للشّهوات، المائلة للفجور والطغيان، الآمرة بالسوء؛ ليشدّ حَذْرَهُ منها، فلا ينسب لها فضلاً، بل يجاهدها، ويروضها على الصدق والإخلاص. فإذا ما ربط العبدُ بين هذه المعارف وبين ما يحدث له في حياته، تأكّدت لديه حقيقة نفسه، وعاش عبداً ذليلاً منكسراً لله متحرراً مما سواه.

كذلك القرآن يُحدِّثنا من عاقبة العُجب والكِبَرِ والعُرُورِ، ويعرض الكثير من نماذج الذين استسلموا لهذه الأمراض، فأهلكتهم، كإبليس وقارون وفرعون وصاحب الجنتين.

<sup>(52)</sup> الشورى: 52

<sup>(53)</sup> تفسير الطبري، "46 / 25".

<sup>(54)</sup> "بشراكم يا أهل القرآن"، ص5، كتيب من إعداد القسم العلمي بدار الوطن بالرياض، عن "تدبر القرآن"، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان.

<sup>(55)</sup> فصلت: 38

<sup>(56)</sup> الأنبياء: 20

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

من هنا تتضح لنا أهمية القرآن في استقامة العبد على أمر الله، وتخلّبه الدائم بجلباب العبودية له. (57).  
أمّا عن سيطرة القرآن على المشاعر،

فإن كنت في شك من قدرة القرآن على الهيمنة على مشاعر الإنسان والسيطرة عليها، فسل نفسك: لماذا ظل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُرَدّد قول الله تعالى: ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (58) في ليلةٍ حتّى أصبح؟ ولماذا استمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه يردد في الفاتحة طيلة الليل؟ (59) وغيرهم وغيرهم.

إنّما حلاوة الإيمان، وخشوع القلب، ولذة القرب الحقيقي من الله، والشعور بالتغيير الذي يحدث لهم كلما ردّدوا الآية التي تحركت معها قلوبهم، فهل من يعيش في هذه الأجواء، ويرى النور بعينه، يعود إلى الورا، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيقرأ القرآن بلسانه وهو غافل عنه؟!

من هنا ندرك أثر تدبر القرآن كمنهج أساسي للتغيير الذي حدث لجيل الصحابة رضوان الله عليهم.  
القرآن باعث على خشية الله والفرع إلى ذكره:

وهذا أثر إيماني مهم؛ لأنّه يبعث على استقامة العبد في شتى أموره، وفي كل تصرفاته؛ قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَتَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (60).

قال ابن كثير: هذا مدح من الله عزّ وجلّ لكتابه القرآن العظيم المُنزّل على رسوله الكريم. (61).  
وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن، وإذا كان هو الأحسن، علّم أنّ ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه أجلّ المعاني؛ لأنّه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابهًا في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنّه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاهه حتى في معانيه الغامضة ما يبهر الناظرين، ويجزم أنّه لا يصدّر إلاّ من حكيم عليم. (62).

### ❖ المحور الرابع: الأثر الروحي والنفسي للتدبر في بناء الشخصية المسلمة

○ أولاً: الأثر الروحي لتدبر القرآن الكريم

(57) "حطم صنمك، وكن عند نفسك صغيراً"، د/ مجدي الهلالي، ص 166، 164، بتصرف.

(58) طه: 114

(59) "فضائل القرآن"، لأبي عبيد، ص 147.

(60) الزمر: 23

(61) "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، 4 / 55،

(62) تيسير الكريم الرحمن"، 6 / 463 - 464.

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

ويقصد به: التأثير العظيم للقرآن الكريم في نفوس سامعيه ومنتدبريه ممن يتقنون لغة القرآن الكريم، وما تشعر به تلك النفوس من الحلاوة واللذة والرغبة والرغبة، فلا يعرف كتاب في الدنيا كلها له من الأثر على تاليه ومستمعه كما لهذا القرآن الكريم<sup>(1)</sup>.

ولعل أول من نبه على هذا الاثر الروحي - كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم - هو الخطابي في رسالته: بيان إعجاز القرآن<sup>(2)</sup> حيث قال: "قلت في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن، منظوماً ولا منشوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول صلى الله عليه وسلم من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمتهم، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاته، وكفرهم إيماناً".

نعم: لقد كان للقرآن الكريم أثره الكبير في نفوس محبيه وشانئيه، غير أن محبيه لا يملكون منع أثره على نفوسهم، فعن عبد الله بن عمرو بن الزبير قال: "قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله"<sup>(3)</sup>. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا صلى في بيته يقف عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يتعجبون منه ينظرون إليه، وكان رجلاً بكاء لا يملك دمه حين يقرأ القرآن الكريم<sup>(4)</sup>.

يقول ابن القيم: "برز القرآن - في رونق الجمال والجلال في أعدل ميزان من المناسبة والاعتدال، ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة، ما يملأ القلوب هيبة، والنفوس خشية، وتستلذ الأسماع، وتميل إليه بالحنين الطباع، سواء كانت فاهمة لمعانيه أو غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أو غير عالمة، كافرة بما جاء به أو مؤمنة..."<sup>(5)</sup>.

وهذا الذي ذكره ابن القيم قريب من الذي ذكره الخطابي إلا أنه يلاحظ فيه أن ابن القيم لم يقيّد تأثير القرآن بمن يفهم العربية، وذكر أن القرآن يؤثر في النفوس سواء أكانت فاهمة لمعانيه أم غير فاهمة، عالمة بما يحتويه أم غير عالمة، فتأثيره لا يرتبط بفهمه عند ابن القيم، ومع هذا التصريح من ابن القيم فإننا نجد أنه جعل الحلاوة واللذة التي تنفذ في

(1) عباس، د. فضل وسناء، إعجاز القرآن الكريم (ص: 345).

(2) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص: 70)،

(3) البيهقي، (365/2) رقم (2062)،.

(4) البيهقي، شعب الإيمان، فصل: في البكاء عند قراءة القرآن (364/2) رقم (2055).

(5) ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان (ص: 9)

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكامييري

المرء عند سماع القرآن الكريم تكون أكد وأقوى إذا كان المرء عالماً بلغة العرب متديراً لمعانيه ، فتأثير القرآن الكريم عامٌّ في من فهم العربية أو لم يفهمها إلا أن الوقوف على إعجاز القرآن الكريم، وملاحظة فضل القرآن الكريم على سائر كلام العرب لا يكون إلا لمن كان عالماً بلغة العرب، متقناً لها، محيطاً بفنون القول فيها، ولهذا نصّ ابن القيم على هذا المعنى بقوله: " وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها... فإذا علم ذلك، ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة، والفصاحة..."<sup>(1)</sup>، بعدها قال: "ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته، وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة...".

أما قول الخطابي فيلاحظ فيه أن الخطابي لم ينص على أن تأثير القرآن الكريم يمكن أن يكون في غير الفاهمين للغة العرب، كما أنه لم يذكر الإعجاز الروحي إلا بعد أن استعرض في مقدمة رسالته تلك الكلام عن بلاغة القرآن، وما حواه من أجناس الكلام، وأكد إعجاز القرآن من هذا الجانب بقوله: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني"<sup>(2)</sup>.

ومن هنا: فإنه يفهم من قول الخطابي أن تأثير القرآن الكريم في مستمعيه مرتبطٌ بفهم العربية خلافاً لابن القيم، وما ذكره ابن القيم أقوى وأرجح، فقد أكدت الدراسات والتجارب التي أجريت على غير الناطقين بالعربية تأثرهم بسماع القرآن الكريم، وسيأتي بيان ذلك بعد قليل.

### ○ ثانياً: الأثر النفسي لتدبر للقرآن الكريم

اختلفت أقوال الباحثين في تحديد مفهوم الأثر النفسي حيث إنه يتداخل مع الأثر الروحي، فهناك من لم يفرق بينهما بما ألزمه الأثر النفسي من جوانب نحو د. صلاح الخالدي الذي جعل للأثر النفسي جانبين؛ أولهما: الحديث عن النفس الإنسانية، وبيان صفاتها، وكشف خباياها، وخفاياها، وثانيهما: تأثير القرآن في النفس الإنسانية مؤمنة كانت أو كافرة، وما ينتج عن هذا التأثير في النفس من نتائج وثمرات<sup>(3)</sup>. ومن فرّق بينهما د. فضل عباس الذي نص على الفرق بينهما عاذاً الأثر الروحي: تأثير القرآن العظيم في النفوس، أما الأثر النفسي فعرفه بقوله: "الإعجاز النفسي هو ما نلمحه في تلك الآيات وهي تتحدث عن أصناف الناس، ومواقفهم ومشاعرهم، وما يفرحهم، وما يحزنهم، ما نجده من بيان لمكونات النفس وخفاياها، ودوافعها...، فإنك لتقرأ الآية من القرآن الكريم، وإذا بها تصور نفسية أولئك الذين تتحدث عنهم صورة واضحة المعالم، بينة الاتجاه، لا تهمل جزئية، ولا تنسى مشهداً"<sup>(4)</sup>.

ومع أنني أتفق مع د. فضل عباس، فالقرآن كما قال: تحدث عن مكونات النفس وخفاياها بصورة معجزة، وذلك لأن الله تعالى هو خالق البشر، وهو أعلم بحال نفوسهم وسجاياهم، فهو خير من يصفها، ويصورها، ويتكلم عنها،

(1) المرجع السابق، (ص: 9).

(2) الخطابي، بيان إعجاز القرآن، (ص: 27).

(3) الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن (ص: 334)،

(4) عباس، إعجاز القرآن (ص: 344).

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكامييري

وستتكلم عن الأثر النفسي من جانب آخر نفرّق على أساسه بينه وبين الأثر الروحي ألا وهو: أن الأثر النفسي هو ما يحدثه القرآن الكريم من تغيرات فسيولوجية إيجابية في النفس الإنسانية من سكون، وطمأنينة، وراحة نفسية، تبديد القلق والخوف، وتجلب السكون والأمن، انطلاقاً من قوله عز وجل: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (63)، وقوله عز وجل (وُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (64)، قال القرطبي: "اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين: أحدهما: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الرّيب...، الثاني: شفاء الأمراض الظاهرة" (1). وجمع القرطبي بين القولين عند تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً) (65) حيث قال: "إعلم أن القرآن هدىّ وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب والأوجاع" (2).

وقد أثبتت بعض الدراسات أن تأثير القرآن يكون في من آمن أو لم يؤمن، فهم اللغة العربية أو لم يفهمها، وتوسع بعضهم في جانب البحث فيه، فجعل تأثيره يشمل النبات، والجماد أيضاً. أما الأثر الروحي فهو انبهار يحدثه سماع القرآن الكريم، ولا يكون إلا لمن خبر لغة العرب، وسلك مسالكهم في مجاري الخطاب، وهو يشمل المؤمن وغير المؤمن بشرط أن يكون فاهماً للغة القرآن.

### ○ ثالثاً: مظاهر تأثير القرآن الكريم في نفوس المتدبرين من أوليائه

لقد أثر القرآن الكريم في نفوس المتدبرين من أوليائه تأثيراً عظيماً، وفيما أسلفنا من صور من آمن بعد كُفر كان عليه مثلاً جلياً لثلة من خير جنود الإسلام ودعاته من يوم أسلموا، بل من ساعة أسلموا، وثمّ ستّة مظاهر لهذا التأثير: المظهر الأول: تنافسهم في حفظه وقراءته في الصلاة وفي غير الصلاة، حتى لقد طاب لهم أن يهجرُوا لذيذ منامهم من أجل تهجدهم به في الأسحار، ومناجاتهم العزيز الغفار، وما كان هذا حالاً نادراً فيهم، بل ورد أن المار على بيوت الصحابة بالليل كان يسمع لها دويّاً كدوي النحل بالقرآن.

المظهر الثاني: عملهم به وتنفيذهم لتعاليمه في كل شأن من شؤونهم تاركين كل ما كانوا عليه مما يخالف تعاليمه ويجافي هدايته؛ طيبةً بذلك نفوسهم، طيبةً أجسادهم، سخية أيديهم وأرواحهم، حتى صهرهم القرآن في بوتقته وأخرجهم للعالم خلقاً آخر مستقيم العقيدة، قويم العبادة، طاهر العادة، كريم الخلق، نبيل المطمح.

المظهر الثالث: استبسالهم في نشر القرآن والدفاع عنه وعن هدايته، فأخلصوا له وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه وهو مدافع عنه، ومنهم من انتظر حتى أتاه اليقين، وهو مجاهدٌ في سبيله ومضحٍ بنفسه ونفيسه. وقد بلغ الأمر إلى حدّ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يردّ بعض من يتطوعوا بالجنديّة من الشباب لحدائثة سنّهم،

(63) الرعد: 28

(64) الإسراء: 82

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (316/10)،

(65) فصّلت: 44

(2) المرجع السابق (369/15)، البرهان في علوم القرآن (1/434-436)،.



## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

ومن ذلك أنه عليه الصلاة والسلام أحاز يوم أحد سمرة بن جندب الفزاري، ورافع بن خديج أحد بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، فقبل له: يا رسول الله إن رافعاً رام، فأجازه، فلما أحاز رافعاً قبل له: يا رسول الله فإن سمر يصرع رافعاً، فأجازه، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد، وعبد الله ابن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب وغيرهم، ثم أحازهم يوم الخندق وهم أبناء خمس عشرة سنة<sup>(3)</sup>. وكان الشباب يحزنون إذا أقصوا عن ميدان القتال لحدائث سننهم ويتألمون لحرمانهم من ثواب الجهاد في سبيل الله. وكان كثير من ذوي الأعدار يؤلمهم التخلف عن الغزوة حتى يضطر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتخلف معهم جبراً لخاطرهم، أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أحد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيى، ثم أقتل، ثم أحيى، ثم أقتل، ثم أحيى، ثم أقتل، ثم أحيى، ثم أقتل" (1).

المظهر الرابع: ذلك النجاح الباهر الذي أحرزه القرآن في هداية العالم، وهذه النهضة الرائعة التي أحدثها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في العقيدة والأخلاق، وفي العادات والمعاملات، وفي السياسة والإدارة، وفي كافة نواحي الإصلاح الإنساني ويقول الزرقاني<sup>(2)</sup>: وهذا ما دعا أحد فلاسفة فرنسا أن يذكر في كتاب له: ما زعمه أحد النصارى من أن محمداً لم يأت بأية على نبوته كآيات موسى وعيسى، ثم يفند هذا الزعم ويقول: "إن محمداً كان يقرأ القرآن خاشعاً أوهاماً متأهلاً [متنسكاً متعبداً] فتفعل قراءته في جذب الناس إلى الإيمان ما لم تفعله جميع آيات الأنبياء الأولين!!".

أجل لقد صدق الرجل، إن فعل القرآن في نفوس العرب كان أشد وأرقى وأبلغ مما فعلت معجزات جميع الأنبياء بأقوامهم .

المظهر الخامس: زيادة الإيمان عند سماع القرآن الكريم، أخذت مسألة زيادة الإيمان حيزاً واسعاً من بحوث العلماء والراجح فيها أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وهذا ما تؤيده نصوص القرآن الكريم التي تشير بوضوح إلى زيادة الإيمان عند سماع القرآن<sup>(3)</sup>، ومن هذه النصوص:

1\_ قوله تعالى: ( وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ) (66).

(3) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (74/3).

(1) البخاري، ومعه فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب تمّي الشهادة، رقم (2797) (20/6).

(2) الزرقاني مناهل العرفان (439/2).

(3) ذكرها صاحب كتاب حجج القرآن في (الباب العشرون في حجج القائلين بأن الإيمان يزيد وينقص) ضمن الآيات

الدالة على ذلك، حجج القرآن (ص:72)، .

(66) التوبة:124

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

2\_ قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (67).

المظهر السادس: الخوف من الله وخشيته، فإن سماع القرآن الكريم يورث النفوس المؤمنة هيبه وخشية لله عز وجل، ومن الآيات التي تشير إلى هذا المعنى:

1\_ قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِالذِّقَانِ سُجَّدًا. وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَجِرُونَ لِالذِّقَانِ يَبْكَونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) (68)

2\_ قوله تعالى: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) (69).

3\_ قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) (70)

### ○ رابعاً: التحذير من هجر القرآن الكريم

جاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنة ترشد الأمة إلى تعاهد القرآن بالتلاوة والتدبر، وتحذر كل الحذر من التقصير في حقه، أو هجران تلاوته والعمل به، ولقد حكى الله عز وجل شكوى الرسول الله صلى الله عليه وسلم لربه هجران قومه للقرآن فقال سبحانه: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) (71)، وتوعد الله سبحانه الذين يعرضون عنه فقال: (... وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا، مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) (72)، ثم صور حالة ذلك المعرض يوم القيامة فقال: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (73).

أن الذين يتعاملون مع القرآن الكريم تعاملاً سطحياً، ولم يُعطوا القرآن الأولوية والمكانة المناسبة له، وإنما حُجِّم دوره في مراسيم الافتتاح وفي الجنائز ودفن الموتى أو في الوصفات العلاجية وغيرها (74).

### ■ ومن أنواع هجر القرآن الكريم:

(67) الأنفال: 2

(68) الإسراء: 107-109

(69) ق: 45

(70) السجدة: 73

(71) سورة الفرقان: الآية (30)

(72) سورة طه: الآيتان (99-101)

(73) سورة طه: الآية (124)

(74) الشيبب، غازي، (2007): تواري الثقافة القرآنية.. الأسباب والحلول

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكامييري

الإعراض عن القرآن واللغو فيه: وقد ورد هذا المعنى في تفسير الآية السابقة، يقول الطبري: وذلك أن الله أخبر عنهم بأنهم قالوا: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ) (75)، وذلك هجرهم إياه (76). ومن المصائب التي نراها في أوساط المسلمين بل والمؤمنين هي أنهم في كلامهم ومحادثاتهم لا يختلفون قبل قراءة القرآن وبعده، بل إنهم يزدادون صراحاً ودويّاً حينما يُقرأ القرآن على مسامعهم، وكأنّ الله سبحانه أمر في قرآنه باللغو حين الاستماع بقوله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (77)؛ إن القرآن لم يقبل منا بالسمع فحسب، بل أراد منا الاستماع، وهو السماع الواعي المتدبر، وإتاك إذا رأيت هذه الظاهرة السيئة جداً، ظاهرة اللغو والقرآن يُتلى، لترحمت على السامعين فضلاً عن المستمعين! ومن الغريب أنك لا ترى استنكاراً لهذه الظاهرة الغريبة المنكرة!! واكبر الظن أن هؤلاء (اللاغين) لا يعرفون قيمة الاستماع إلى القرآن الكريم، ومحسبون ذلك من الأمور العادية، بينما الآية المباركة والروايات صريحة بضرورة الاستماع والإنصات، وفيهما انفتاح لباب الرحمة الإلهية التي تتطلع إليها قلوب المؤمنين لقوله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (78)، إنها الرحمة الإلهية التي تهبط على هؤلاء المنصتين المستمعين.

هجر سماعه وتلاوته: فلا يوجد على وجه البسيطة كتاب يحرم هجره، ويجب تعاهده وتلاوته؛ إلا القرآن الكريم، فإن هذا من خصائصه التي لا يشاركه فيها أي كتاب، وقد أثنى الله عز وجل على الذين يتعاهدون كتاب ربهم بالتلاوة فقال: (... مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) (79)، وحتى لا يقع الناس في هجران القرآن، فقد بحث العلماء مسألة: في كم من المدة يقرأ القرآن، وقالوا: "يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً لا يقرأ فيها القرآن".

هجر العمل به والوقوف عند حاله وحرامه: فيحرم هجر العمل بالقرآن الكريم؛ لأن القرآن إنما نزل لتحليل حاله وتحريم حرامه والوقوف عند حدوده، فلا يجوز ترك العمل بالقرآن، فإن العمل به هو المقصود الأهم والمطلوب الأعظم من إنزاله.

وهجر تحكيمه والتحاكم إليه: فقد أنزل الله عز وجل كتابه الكريم حتى يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ونهاهم سبحانه عن تحكيم أو تحاكم إلى غير القرآن، فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين، وهو الحكم فيما اختلفوا فيه من أمور دينهم ودنياهم، فلا يجوز هجره لابتغاء الحكم في غيره.

(75) سورة فصلت: الآية (26)

(76) تفسير الطبري، مرجع سبق ذكره، ج9، ص385.

(77) سورة الأعراف: الآية (204)

(78) سورة الأعراف: الآية (204)

(79) سورة آل عمران: الآية (113)

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكامييري

كذلك هجر تدبره وتفهمه وتعقل معانيه: فتدبر القرآن الكريم وتعقل معانيه مطلب شرعي، دعا إليه القرآن وحثت عليه السنة المطهرة، وعمل به الصحابة والتابعون ومن بعدهم، قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ... )<sup>(80)</sup>، وفي قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)<sup>(81)</sup>، وعليه فلا يجوز هجر تدبره وتأمل معانيه وأحكامه، وكذلك هجر الاستشفاء به والتداوي به في أمراض القلوب والأبدان، وقد وردت نصوص كثيرة في أن القرآن الكريم شفاء، قال تعالى: (وُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)<sup>(82)</sup>، وقوله تعالى: (... قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً )<sup>(83)</sup>.

### ولهجر القرآن الكريم أسباب كثيرة أهمها:

البعد عن الله تبارك وتعالى، وضعف الإيمان الذي يصور للإنسان السعادة في الملهيات الكثيرة، كالإعلام الفاسد الذي غزى بيوتنا، والتشاغل بما هو غير مفيد ومضيق للوقت، وكذلك التعليم الذي ركن القرآن وجعله أقل من ثانوي في حياة الطلاب والطالبات وتعظيم العلوم الدنيوية وجعل لها نصيب الأسد من أوقات الدراسة، وإذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا الله وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرَّغ قلبه لمحبتة، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همُّه، حمَّله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم.

فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته، بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته. قال تعالى: (وَمَنْ يَعْتَسِفْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)<sup>(84)</sup>.

وكذلك عدم الإيمان و اليقين بأن في هذا الكتاب الكريم شفاء لكل داء .. مهما كان شكل الداء و نوعه .. فلو أننا سمعنا باسم فلان عنده الحل لكل المشكلات لرأينا الناس كلها هرعت إليه حتى و لو طلب أغلى الأسعار .. فما بالناس تركنا ما بين أيدينا و انطلقنا نبحث عن من يحل مشاكلنا..؟ الأمر فقط يحتاج منا تفهم و تدبر لكلام الله لنكتشف و نتلمس مواطن العلاج.

### ❖ خاتمة

المسلمون اليوم أحوج ما يكونون لإعادة بناء علاقتهم بالقرآن بشكل سليم، ووضع حد لحالة الهجر والفصام بينهم وبينه وإزالة سائر العوائق والحجب بينهم وبينه. وأن يدركوا أن القرآن الكريم وإن كان الله سبحانه وتعالى قد يسره للذكر لكن قارئه يحتاج مع ذلك التيسير إلى منهجية للتدبر لإدراك خصائص

<sup>(80)</sup> سورة ص: الآية (129)

<sup>(81)</sup> سورة محمد: الآية (24)

<sup>(82)</sup> سورة الإسراء: الآية (82)

<sup>(83)</sup> سورة فصلت: الآية (44)

<sup>(84)</sup> سورة الزخرف: الآية (36)

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكامييري

خطابه لعله يتمكن من الوصول إلى حالة النظر الخالي من الشوائب التي تحول بين قلب الإنسان وبين فهم معاني القرآن وملاستها واليقين بأننا سوف نجد في القرآن سبيل الهداية إلى كل ما نحن بحاجة إلى الوصول إليه فإنّنه ما تنزل بأحد من أهل الأرض نازلة إلا وفي القرآن المجيد سبيل الهدى والطريق الأقوم لمعالجتها.

لذلك يلزم تنشئة نموذج الإنسان المتدبر للقرآن (على مستوى الفرد والجماعة)؛ بما يحقق التعامل الإنساني الرشيد مع القرآن، والتفاعل العميق مع أبعاد التنزيل عبر. تفعيل ” المنظومة القيمية القرآنية ” في نموذج حضاري فاعل في حياة المجتمع والأمة، وذلك بتجسدها في الإنسان المسلم. وأن يمتلك العقل المتعامل مع القرآن الأدوات المنهجية والوسائل التي تمكنه من استنهاض ” المنظومة المعرفية القرآنية ” لتحقيق مقاصد الاستخلاف، وذلك عبر التدبر لإستعادة الجذوة التصورية والمعرفية والمنهجية للقرآن في واقع الأمة والواقع الإنساني للوصول بالفرد والجماعة إلى المعرفة التي تؤدي إلى العمل بالمعاني المستفادة من تدبر النص القرآني.

إن الإشكالية التي نطرحها في تناول هذا الموضوع تتمثل في بناء وتأصيل الدور الذي توجه إليه النصوص القرآنية في ممارسات الحياة المختلفة على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع المسلم، بل وعلى مستوى المجتمع الإنساني بشكل عام؛ وذلك بهدف الارتقاء بإنسانية الإنسان بمعايير محددة نص عليها الكتاب المبين، وعلى رأسها العبودية الخالصة لرب العالمين.

إن أهمية هذا الموضوع تعد أمراً واضحاً وصریحاً لكل عاقل يتلمس واقع المسلمين في بلاد الغرب في غياب الاستثمار الأمثل لهذا الكتاب في حياة هذه الجالية المسلمة في بلاد المهجر، هذا فضلاً عن عدم إظهار خيره للبشرية الذين اختصنا الله لإيصال رسالته إليهم. ومن هنا فإن أهمية الموضوع تتمثل في محل الموضوع الذي نحاول من خلال هذه الدراسة أن نطرح الأسلوب الأمثل لاستثمار هذا المحل الاستثمار الأمثل من أجل التفاعل مع عملية الحياة بصورة أكثر إيجابية، وأكثر استنارة.

وإذا كان المسلمون الذين يقيمون في الغرب يرغبون حقاً في ممارسة الدعوة الإسلامية على أسس سليمة في أوساط الغربيين فعليهم أولاً البدء بأنفسهم، وتنقية صفوفهم، وتنقية أفكارهم، وإقامة شؤون حياتهم في ضوء فهم جديد لمقاصد القرآن الكريم، وتغليب المصالح الإسلامية العامة على مصالح الأشخاص الخاصة، وتصحيح مسار حياتهم تماماً، كي ينظر إليهم الإنسان الغربي على أنهم القدوة والنموذج. وإعادة دراسة وتعميق فهم الأنا على ضوء دراسة الأخر فيما قد يسمى (بعملية الوعي بالذات)، وهذه ميزة كبرى لو قُدر للدراسات الإستغرافية أن تساهم بدور فيها، فمن خلال هذا المنطلق يمكننا فهم أكثر لهويتنا وذاتنا وخصوصيتنا الثقافية بتبين خصوصية الأخر الثقافية والدينية والحضارية وبضدها تتميز الأشياء؛ ومن هذا المنطلق نأمل أن يتبلور وعي الأنا الإسلامية بذاتيتها وهويتها وخصوصيتها الحضارية والدينية لتصبح أكثر وضوحاً وجلأً وتحديداً، مبددة ظلمات الإستيلا والتغريب والذوبان

### ❖ لائحة المصادر والمراجع المعتمدة

1. القرآن الكريم
2. مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح، ط/ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/ 17، 1988م.
3. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ط/ مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بالقاهرة، ط/ 12، 1423هـ،
4. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. 1983
5. زاد المسير في علم التفسير - ابن الجوزي دار الايمان ط 2016
6. مدارج السالكين ابن قيم الجوزية الناشر: دار الكتاب العربي 2003
7. الفوائد شمس الدين ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الثانية، 1393 هـ - 1973 م
8. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار الكتب المصرية سنة النشر: 1364.
9. الفروق اللغوية العسكري الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر 1974
10. القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت 1980
11. فتح القدير الشوكاني اليميني (المتوفى: 1250هـ دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: - 1414 هـ.
12. أنوار التنزيل وأسرار البيضاوي المتوفى: 685هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - 1418 هـ
13. اقتضاء العلم العمل"، للخطيب البغدادي، ص71، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض، ط: أولى، 1422هـ
14. مختصر قيام الليل"، محمد بن نصر المروزي، ص149، ط: مؤسسة الرسالة، ط/ ثانية، 1414هـ.
15. "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة"، ص221، لابن القيم ط/ دار ابن عفان، الخبر، السعودية، ط: أولى، 1416هـ.
16. صحيح البخاري
17. تفسير الطبري"
18. "بشراكم يا أهل القرآن"، ص5، كتيب من إعداد القسم العلمي بدار الوطن بالرياض، السعودية، بدون طبعة، نقلاً عن "تدبر القرآن"، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان.
19. "حطم صنمك، وكن عند نفسك صغيراً"، د/ مجدي الهلالي، ص166، 164، بتصرف.
20. "فضائل القرآن"، لأبي عبيد، ص147.
21. "تفسير القرآن العظيم"، لابن كثير، 4/ 55، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، (ت: 774هـ)، ط/ دار الفكر، بيروت، 1401هـ.
22. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: السعدي مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م
23. عباس، د. فضل وسناء، إعجاز القرآن الكريم (ط1/1991م).
24. الخطابي، ، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف - مصر (ط2/1387هـ).
25. البيهقي، شعب الإيمان، فصل: في البكاء عند قراءة القرآن (2/364) رقم (2055).

## تدبر القرآن الكريم وأثره في بناء الشخصية المسلمة ذ : ادريس الكاميري

26. ابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان دار الكتب العلمية – بيروت (ط2/1988م).
27. الخطابي، بيان إعجاز القرآن،
28. الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في إعجاز القرآن دار عمار (ط 3 /1992م).
29. إعجاز القرآن المؤلف : أ.د. فضل حسن عباس الناشر : منشورات جامعة القدس بلد النشر : فلسطين
30. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن دار إحياء التراث العربي – بيروت (سنة: 1985م).
31. البرهان في علوم القرآن (1/434-436)، دار المعرفة، بيروت، ط سنة 1390هـ.
32. عبدالسلام هارون (1985)، تهذيب سيرة ابن هشام (الطبعة 14)، الكويت: دار البحوث العلمية،
33. مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزُّرقاني مطبعة عيسى البابي الطبعة الثالثة
34. الشيبب، غازي، (2007): تواري الثقافة القرآنية.. الأسباب والحلول، العدد الأول، مجلة القرآن نور